

الخصائص

وحكى أبو الفضل الرّياشيّ قال : جئت أبا زيد لأقرأ عليه كتابه في النبات فقال : لا تقرأه عليّ - فإنني قد أنسيتُهُ .

وحسبنا من هذا حديثٌ سيّويه وقد حطب بكتابه - (وهو) ألف ورقة - علما مبتكرا ووضعنا متجاوزا لما يسمع ويرى فلاّما تُسند إليه حكاية أو توصل به رواية إلا الشاذّ الفذّ الذي لا حِفْلَ به ولا قدر . فلولا تحفُّظ من يليه ولزومه طريق ما يعنيه لكثرت الحكايات عنه ونيطت أسبابها به لكن أخلد كل إنسان منهم إلى عصمته وادّرع جلاب ثقتهم وحمل جانبهم من صدقه وأمانته ما أريد من صون هذا العلم الشريف (له به) .

فإن قلت : فإننا نجد علماء هذا الشأن من البلدين والمتحلّين به في المصنّعين كثيرا ما يهجن بعضهم بعضا (ولا) يترك له في ذلك سماء ولا أرضا .

قيل له : هذا أوّل دليل على كَرَم هذا الأمر ونزاهة هذا العلم ألا ترى أنه إذا سبقت إلى أحدهم طندّة أو توجّهت نحوه شبهة سُبّ بها وبرئ إلى الله منه لمكانها . ولعل أكثر من يُرْمَى يسقطه في رواية أو غمّر في حكاية محمديّ جانب الصدق فيها بريء عند الله ذكره من تبعتهما لكن أُخِذت عليه إما لاعتنان شبهة عرضت له أو لمن أخذ عنه وإمّا لأن ثالبه ومتعيّبه مقصّر عن مغزاه مغضوض